# مقدمة

يقول جورج سنتسبرى فى مؤلفه الضخم « تاريخ النقد والذوق الأدبى فى أوربا » : إن أعظم النقاد الذين ظهروا حتى عصره ثلاثة : أرسطو ولونجينس وكولردج. وقد يكون سنتسبرى متحيزاً إلى حد ما لكولردج فى قوله هذا ، ومع ذلك فهو يمثل الرأى العام الإنجليزى فى هذا الناقد الكبير . حقاً قد يعترض بعض الكتاب الإنجليز على تقييم كولردج لهذا العمل الأدبى أو ذاك ، وقد يخالفونه فى هذه النظرية أو تلك ، غير أنه قل من يوجد بين الإنجليز من يعارض رأى سنتسبرى معارضة جادة . لقد وصف المؤرخ الناقد آرثر سيمونز مثلا فى بداية هذا القرن كتاب كولردج الشهير « سيرة أدبية » قائلا « إنه أعظم كتاب فى النقد الأدبى باللغة الإنجليزية . » ولقد حدثت أحداث وقامت ثورات فى الذوق الأدبى فى إنجلترا منذ ذلك التاريخ . وثار الناس على المذهب الرومانتيكى فى الأدب وفى النقد ، ودعوا إلى العودة إلى ضرب جديد من الكلاسيكية ، بل حاول بعضهم على نحو من الأنحاء أن يحقق فى إنتاجه هذه الكلاسيكية ، أو ما كان يظن أنه الكلاسيكية . ومع ذلك فقد صمد كولردج الناقد أمام هذه التقلبات والتغيرات فى الذوق والحساسية ، وحافظ على مكانته السامية فى عالم النقد ، ولا يزال النقاد المحدثون يعتبرونه من أهم النقاد الإنجليز ، إن لم يكن أهمهم جميعاً .

ولم يقتصر حماس النقاد ورجال الفكر المحدثين على كولردج الناقد ، وإنما أخذوا يهتمون اهتماماً متزايداً بفلسفته ، وبالدور الذى قام به فى تطور الفكر الإنجليزى بوجه عام . فاعتبره البعض الذين يؤمنون بالفلسفة المثالية فيلسوفاً مثالياً كبيراً ، وزعم البعض الآخر من أتباع الوضعية المنطقية أنه أول من أثار الاهتمام باللغة ودعا إلى تحليلها تحليلا فلسفياً . أما المولعون بالوجودية فقد

وجدوا بدورهم فيه فيلسوفاً وجودياً سابقاً لكيركجارد ، بينما ذهب البعض إلى أنه من رواد علم النفس وأنه اكتشف الكثير من الحقائق عن عالم اللاوعى .

ونحن لا نقر هؤلاء الكتاب على حماسهم لفلسفة كواردج . حقاً لقد لعب كولردج دوراً خطيراً فى تطور الفكر الإنجليزى ، دوراً حاولنا أن نلخصه فى بعض المواضع بهذا الكتاب . إلا أن كولردج فى نظرنا ليس فيلسوفاً بقدر ما هو ناقد ، وهذا هو ما حاولنا أن نبينه فى صفحات هذا الكتاب . إن الشىء الذى يجب أن نهتم به بوجه خاص هو نقده ، لأننا لا شك سنفيد كثيراً من هذا النقد . فالكثير من المبادئ النقدية التى أتى بها كولردج لا يوجد لها مثيل فى تراثنا النقدى العربى ، ونخص بالذكر من هذه المبادئ مبدأ الوحدة العضوية للعمل الفنى الذى قد يعيننا كثيراً فى كتاباتنا النقدية والإبداعية إن نحن فهمناه على النحو السليم . ولما كان نقد كولردج نقداً فلسفياً ، بمعنى أنه يقوم على أسس فلسفية ، لذا كان علينا أن نعرض بإيجاز لفلسفة كولردج على الرغم مما فيها من غموض وصعوبة سيدركهما القارئ بنفسه ، وذلك حتى تتضح لنا بعض الخطوط الرئيسية فى هذه الفلسفة فيزيد فهمنا لنقده وللأسس التى يقوم عليها هذا النقد .

ولعلنا قد وفقنا فى توضيح بعض ما غمض من آراء هذا الكاتب الهام ، وفى عرضها عرضاً قد يفيد منه القارئ العربى .

الإسكندرية ١٩٥٨

محمد مصطفى بدوى